ما قدمه الوحي في ميادين المعرفة

- **ما قدمه الوحي في ميادين المعرفة:** عالم ما وراء الطبيعة هو أول ما اجتذب أفكار الفلاسفة من المباحث للنظر فيها ، وحينما انفصل العلم الطبيعي عن الفلسفة كانت الفلسفة هي الميتافيزيقا لدى كثير من الفلاسفة ؛ ولهذا وصفت الفلسفات التي تنكر الميتافيزيقا باللافلسفة..
- ومع ما واجهته الفلسفة من صعوبات في تناول هذا المجال فإنها لا زالت تبحث فيه لعلها تصل إلى معرفة تطمئن إليها في المسائل الوجودية الكبرى .

الفلسفة وما وراء الطبيعة

- **يقول بارتيلمي سانت هيلير:** " هذا اللغز العظيم الذي يستحث عقولنا ما العالم؟ ما الإنسان ؟ من أين جاءا ؟ من صنعهما ؟ من يدبرهما ؟ ما هدفهما ؟ كيف بدءا ؟ كيف ينتهيان ؟.... هل يوجد شيء بعد هذه الحياة العابرة ؟ هذه الأسئلة لا توجد أمة ولا شعب ولا مجتمع إلا وضع لها حلولاً جيدة ، أو رديئة مقبولة أو سخيفة".
- **الفلسفة وما وراء الطبيعة:** بحثت الفلسفة في ما وراء الطبيعة ، والحق أنها لم تقدم شيئاً رغم ذلك التراث الكبير

- ولهذا فقد أعلنت الفلسفة عجزها عن الإنتاج المطلوب في ميدان الماورائيات ؛ وبما أن عماد الفلسفة في هذا الميدان هو العقل ؛ فهذا يعني عجز العقل في هذا الميدان.
- **يقول إيمانويل كانط:** (إن عقل الإنسان مركب تركيباً يؤسف له ، فإنه مع شغفه بالبحث في مسائل لا تدركها حواسنا لم يستطع أن يكشف عن معمياتها).
- ونتيجة لقصور العقل في هذا الميدان فقد اتجه بعض الفلاسفة المعاصرين في أوروبا إلى اعتبار البحث في

- الماورائيات لغواً لا فائدة من ورائه وذلك لسببين:
- ١ – أن العقل حينما يتناوله لا يقع على حدوس يطبق عليها مقرراته كالحدوس المتوفرة في عالم الطبيعة.
- ٢ – أن التاريخ أثبت –كما يرى كانط– أن الفلاسفة لم يتفقوا على شيء من تلك المسائل.
- وكانت نهاية المطاف قيام الفلسفة الوضعية التي أنكرت الميتافيزيقا واعتبرت البحث فيها نوع من الوهم والسفسطة كما يرى هيوم.

- **هل حقق العلم المادي تطلعات البشرية ؟**
- واقع الحال أن العلم سار بالناس عكس ما كان يتوقع الوضعيون من نسيان الميتافيزيقا ومسائلها ؛ فقد ألهب فيهم شوق التطلع إلى ما وراء عالمه من مجاهيل ؛ ومن ثم صار العلم داعية للإيمان بذلك العالم وبخالق الوجود.
- بل إن مؤسسي الوضعية ودعاتها قد انتهوا إلى ذلك من حيث يشعرون أو لا يشعرون :
- **وإيمانويل كانط:** الذي استبعد الميتافيزيقا بحجتيه النقدية

- والتاريخية ، يعود فيقول: (ليحاول الفكر الإنساني أن يتوقف نهائياً عن الأبحاث الميتافيزيقية ، فذلك ما لا يمكن أن يتوقعه أحد ، كما لا يتوقع أن يرانا لكي لا نتنفس –دائماً – هواءاً فاسداً أن نفضل أن نتوقف تماماً عن التنفس).
- **أما كونت :**الذي قضى بنهاية الدين ، فقد تصوف آخر حياته ، ووضع ديناً جديداً بدأ يفصل تعاليمه وطقوسه قبل موته.

- **وليتريه :** [أميل مكسمليان بول .طبيب وفيلسوف فرنسي ت ١٨٨١م من تلاميذ كونت] الذي حصر نفسه في العلوم الطبيعية ، كانت نتيجة إيغاله فيه إحساسه بأنه محفوف بأسرار الكون وآياته.
- نحن إذن : بين إنكار وإقرار ، رفض ثم قبول ، فهل هذه الأحكام المتناقضة تصب على موطن واحد ؟ ومن خلال النظر في أسباب القبول والرفض للميتافيزيقا عند الوضعية نرى الآتي:
- ١ – أن الرفض آت من إثبات عجز العقل وعقمه في مجال مجال الميتافيزيقا.
- ٢ – والاعتراف منصب على عالم ما وراء الطبيعة ذاته بغض النظر عن مصدر معرفته والإقرار بتطلع البشر إلى ذلك العالم .
- وبهذا يمكن الجمع بين فلسفتي إيمانويل كانط فيكون النقد عنده موجهاً نحو العقل وعقمه في إدراك الماورائيات والاعتراف بالتطلع البشري إلى ذلك العالم والحاجة إلى معرفته.

- وإذا عدنا إلى **ديكارت** : في دائرة الفلسفة الأوروبية نراه تقدم خطوة أكثر من كانط ، فقرر أن قضايا ذلك العالم لا يمكن العلم اليقيني بها إلا بنعمة إلهية خارقة للطبيعة .
- والحق أن النعمة قد أسديت من الله إلى البشرية متمثلة بالوحي الذي أنزله على رسوله محمد ﷺ والذي قدم جميع ما يتطلع إليه الإنسان ويحتاجه في حياته وما بعدها.

ما وراء الطبيعة في الوحي المحمدي

- **ما وراء الطبيعة في الوحي المحمدي:**
- يقسم العلماء المسلمون العقيدة التي جاء بها الوحي في الإسلام إلى قسمين:
- **الأول : المسائل.**
- **الثاني : الدلائل.**
- **المسائل:** طرق الوحيُ جميع موضوعات الميتافيزيقا ، وتمثل مباحثها جزءاً كبيراً ومن النماذج على هذه المسائل:

- **قضية الألوهية:** جاء فيها: ﴿ إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ يَطْلُبُهُ حَثِيثًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومَ مُسَخَّرَاتٍ بِأَمْرِهِ أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ (٥٤) ﴾ الأعراف.
- **الإنسان** : وعنه قال: ﴿ إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِنْ طِينٍ (٧١) ﴾ ص وقال مبيناً الحكمة من وجوده : ﴿ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ (٥٦) ﴾ الذاريات

- **وفي حكمة خلق الكون وعلاقة الإنسان به:** ﴿ وَسَخَّرَ لَكُمْ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مِنْهُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ (١٣) ﴾ الجاثية.
- **وفي مصير الكون ونهايته :** ﴿ فَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ نَفْخَةٌ وَاحِدَةٌ (١٣) وَحُمِلَتِ الْأَرْضُ وَالْجِبَالُ فَدُكَّتَا دَكَّةً وَاحِدَةً (١٤) فَيَوْمَئِذٍ وَقَعَتِ الْوَاقِعَةُ (١٥) وَانْشَقَّتِ السَّمَاءُ فَهِيَ يَوْمَئِذٍ وَاهِيَةٌ (١٦) وَالْمَلَكُ عَلَى أَرْجَائِهَا وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَانِيَةٌ (١٧) ﴾ الحاقة.

- وفيما يكون بعد انتهاء هذه الحياة يقول سبحانه: ﴿ يَوْمَ تُبَدَّلُ الْأَرْضُ غَيْرَ الْأَرْضِ وَالسَّمَاوَاتُ وَبَرَزُوا لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ (٤٨) ﴾ إبراهيم.
- ويقول مبيناً الحكمة من الحياة الأخروية: ﴿ وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَا يَبْعَثُ اللَّهُ مَنْ يَمُوتُ بَلَى وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ (٣٨) لِيُبَيِّنَ لَهُمُ الَّذِي يَخْتَلِفُونَ فِيهِ وَلِيَعْلَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّهُمْ كَانُوا كَاذِبِينَ (٣٩) ﴾ النحل.
- كما ذكر الوحي بعض العوالم الغيبية المحيطة بالإنسان أو

ذات العلاقة به ، فتحدث عن الملائكة ووظائفهم وعلاقتهم بالإنسان : ﴿ لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ (٦) ﴾ التحريم. ﴿ وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ (١٠) كِرَامًا كَاتِبِينَ (١١) يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ (١٢) ﴾ الانفطار، ﴿ حَتَّى إِذَا جَاءَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا وَهُمْ لَا يُفَرِّطُونَ (٦١) ﴾ الأنعام

- وذكر الجن وصفاته : ﴿ وَخَلَقَ الْجَانَّ مِنْ مَارِجٍ مِنْ نَارٍ (١٥) ﴾ الرحمن ، ﴿ إِنَّهُ يَرَاكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُ مِنْ حَيْثُ لَا تَرَوْنَهُمْ (٢٧) ﴾ الأعراف.

- **ما امتاز به منهج الوحي عن منهج الفلسفة في دائرة المسائل** : راعى منهج الوحي فيما قدمه في دائرة المسائل:
- ١ – الطبيعة البشرية المتلقية لهذه المسائل من حيث قدرتها على إدراكها وفهمها.حيث لم يجعل الوحي تعريف الأشياء قائماً على منهج البحث في الماهيات وتحليل كنهها ، بل نهج في ذلك تقرير وجودها والتدليل عليها بآثارها ومظاهرها ؛ ولهذا كان الوحي ؛ ولهذا كان

الوحي يصرف عقول الناس عن الإغراق في بحث الماهيات مما لا يعود على هذه العقول إلا بتبديد الطاقة والجهد يقول سبحانه : ﴿ وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا (٨٥) ﴾ الإسراء.

- ٢ – حاجتها في أمور دينها ودنياها: حيث اتجه الوحي في هذا الجانب إلى ذكر الجانب العملي في علاقة الإنسان بتلك القضايا الميتافيزيقية التي ذكرها دون الانقطاع إلى المسائل النظرية البحتة فعند حديثه عن الله يركز على

إحاطته بالإنسان وهيمنته عليه ، وحينما يتحدث عن الملائكة يبين مهمتهم المتعلقة بالإنسان ، وحينما يتحدث عن اليوم الآخر يركز على بيان مسؤولية الإنسان في ذلك اليوم يقول تعالى : ﴿ قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِي إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَا إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ (١) ﴾ المجادلة.
ويقول : ﴿ فَأَمَّا مَنْ طَغَى (٣٧) وَآثَرَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا (٣٨) فَإِنَّ الْجَحِيمَ هِيَ الْمَأْوَى (٣٩) وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَى (٤٠) فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَى (٤١) ﴾ النازعات.

- والوحي بهذا يختلف عن الفلسفة التي لم تراع هذين الأمرين:
- ١ – فأوغلت في في بحوث لا طاقة للعقل بها ؛ مما اضطرها إلى أن تخضع المسائل الغيبية لقوانين الطبيعة فتقيسها عليها كما فعل بعض الفلاسفة كأفلوطين وغيره في بحثهم تعلق عمل الخالق بالمخلوقات فقاسوه بالإنسان ، كما أخطأ المتكلمون من المسلمين الذين قاسوا صفات الله على صفات المخلوقين فصاروا يرون بعض الأعمال واجباً عليه وبعضها حسناً وفق المعايير البشرية .
- ٢ – كما أن الفلسفة حصرت غايتها من بحوثها الميتافيزيقية في المعرفة فقط دون نظر إلى الجانب العملي فلم تعط الإنسان

سوى فكرةً جافة ترتسم في صورة جامدة مما جعل مصير الميتافيزيقا الانعزال عن حياة الناس.

- وتبعاً للحيثية الثانية – التركيز على الجانب العملي – فقد قدم الوحي للإنسان هذه المسائل بتفصيل شامل يعطيه معرفة وافية وتصوراً واضحاً ، فقد تحدث بالتفصيل عن الله وأسمائه وصفاته وع اليوم الآخر وأحداثه ...
- وهذا خلافاً لمنهج فلسفة الميتافيزيقا التي لم تصل إلا إلى تصورات مجملة وأفكار مجردة بل يجعلون ذلك غايتهم

لأنهم يرون أن المعرفة كلما أمعنت في التجريد أدى ذلك إلى رب العقل من الوقوع على الحقيقة كما هي وهذا ما يقول به المثاليون.

- وحينما نحى بعض المتكلمين هذا المنحى الفلسفي ، وسعى إلى معرفة الله عن طريق السلب انتهى به الأمر إلى الإيمان بوهم لا وجود له.
- **الدلائل :** حينما عرض الوحي أصول العقيدة قدم الدلائل العقلية عليها بأسلوب محكم وبرهنة قاطعة ولم يكتف

- بالخبر المجرد أو الاعتماد على العاطفة بأسلوب شعري كما يطن البعض من الفلاسفة وغيرهم يقول الإمام الزركشي:(ما من برهان ودلالة وتقسيم وتحديد شيء من كليات المعلومات العقلية والسمعية إلا وكتاب الله تعالى قد نطق به لكن أورده على عادة العرب دون دقائق طرق أحكام المتكلمين).
- **ومن نماذج الأدلة** التي ساقها الوحي لإثبات حقيقة ما يدعو إليه من أصول الدين ما يأتي:

- **١ – دليل الاختراع:** وقد دلل به الوحي على وجود الله تعالى : ﴿ أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ (٣٥) أَمْ خَلَقُوا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بَلْ لَا يُوقِنُونَ (٣٦)﴾ الطور.
- **٢ – دليل التمانع:** وهو لإثبات وحدانية الله تعالى عن طريق الاستدلال بانتظام الكون وسلامته من الاختلال وقد يسمى هذا الدليل بقياس الخلف ومنه قوله تعالى:﴿ لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا فَسُبْحَانَ اللَّهِ رَبِّ الْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ (٢٢) ﴾ الأنبياء.
- **٣ – أدلة إمكان البعث:** ساق الوحي عدداً من الأدلة رداً على

الذين استبعدوا البعث والإعادة من ذلك قوله تعالى : ﴿ وَيَقُولُ الْإِنْسَانُ أَإِذَا مَا مِتُّ لَسَوْفَ أُخْرَجُ حَيًّا (٦٦) أَوَلَا يَذْكُرُ الْإِنْسَانُ أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِنْ قَبْلُ وَلَمْ يَكُ شَيْئًا (٦٧)﴾ مريم.
وهذا قياس على النشأة الأولى ومعلوم أن إعادة الشيء أهون من بدئه. وقوله سبحانه :﴿ وَقَالُوا أَإِذَا كُنَّا عِظَامًا وَرُفَاتًا أَإِنَّا لَمَبْعُوثُونَ خَلْقًا جَدِيدًا (٩٨) أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ قَادِرٌ عَلَى أَنْ يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ وَجَعَلَ لَهُمْ أَجَلًا لَا رَيْبَ فِيهِ (٩٩)﴾ الإسراء.وهو من قياس الأولى

أيضاً فالذي خلق السموات والأرض قادر على خلق الإنسان الذي هو جزء منها.
- **فأدلته:** تجمع بين العمق والوضوح والدقة اقرأ مثلًا قوله تعالى: ﴿ لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا فَسُبْحَانَ اللَّهِ رَبِّ الْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾ وانظر كيف اجتمع الاستدلال والتهويل والاستعظام في هذه الكلمات القليلة. بل الدليل نفسه جامع بين عمق المقدمات اليقينية ووضوح المقدمات المسلمة ودقة التصوير لما يعقب التنازع من "الفساد" الرهيب. فهو برهاني خطابي عاطفي معًا. وهذا ما لا نجده في كتب الحكمة النظرية).

- ولعل هذا الأسلوب هو الذي جعل بعض الفلاسفة يتصورونه كتاب عاطفة شعرية ؛ لأن أدلته لم تأت على نسق الأدلة الفلسفية المجردة ، كما تختلف في منهجها حيث تنطلق بالإنسان من الوقائع المحسوسة التي يعيشها إلى آفاق العلم الإلهي خلافاً للفلسفة التي حصرت مباحثها في القضايا الفكرية والحقائق المجردة.
- والعلم اليوم يعود إلى منهج القرآن وهذا ما نراه في مجال العلوم الطبيعية التي كشفت دراساتها عن أسرار الكون

العلماء بين الفلسفة والوحي

وعجائب الخلق الدالة على الخالق.

- **العلماء بين الفلسفة والوحي:** لقد دفع انبهار بعض المسلمين في العصور الأولى بالفلسفة اليونانية إلى تصور أن العلم اليقيني لا يمكن بدون تلك الفلسفة ، ولما تحقق لبعضهم أن المعرفة التي تحققها الفلسفة في ميدان العلم الإلهي وما وراء الطبيعة لا تتجاوز الحيرة والضلال رجع هؤلاء إلى الوحي ومن هؤلاء الإمام الغزالي الذي قال بعد دراسة الفلسفة وإعجابه بمنطقها

:(**وأما** منفعته – أي علم الكلام –فقد يظن أن فائدته كشف الحقائق ومعرفتها على ما هي عليه وهيهات فليس في الكلام وفاء بهذا المطلب الشريف ولعل التخبيط والتضليل فيه أكثر من الكشف والتعريف).

- **ومنهم** : أبو عبد الله الرازي والشهرستاني والجويني وأبو الحسن الأشعري الذي كان على الإعتزال ثم رجع إلى مذهب السلف.

أسئلة الوحدة السابعة

- ١ – تحدث عن الصعوبات التي واجهتها الفلسفة في تناول مجال ما بعد الطبيعة .
- ٢ – يقسم العلماء المسلمون العقيدة التي جاء بها الوحي في الإسلام إلى قسمين . ما هما ؟.
- ٣ – تحدث عن أسلوب الوحي في عرضه لأصول العقيدة .